مدخل إلى الأدب المقارن -سنة ثانية ليسانس-.....(د.حميدة سليوة)

المحاضرة رقم :10

النماذج الإنسانية ودراستها في الأدب المقارن

إهتمت الدراسات المقارنة بالنماذج البشرية، وهذا لطاقتها الرمزية والفنية في التعبير عن الجماعات البشرية، ولتداولها بين الآداب المختلفة كقناة تأثير وتأثر

1-ما هو النموذج الإنساني:

لابد أن نحدد عند الحديث عن النموذج الإنساني هذا المفهوم في النص الأدبي أو الأثر الإبداعي:« **كل شخص عبارة عن نموذج وفي نفس الوقت شخصية ملموسة تماما[.....] النموذج الأدبي يعبر عن وحدة العام والخاص في تصوير الإنسان** »[1]، أي أنه شخصية أدبية متكاملة البناء –نفسي واجتماعي وجسماني، وذات كيان اجتماعي يظهر من خلال الاسم والعنوان والوظيفة، وتجتمع في النموذج فردية وتميز الشخصية الأدبية، وعمومها على جميع أفراد الفئة أو الشريحة الاجتماعية.

ويعرفه غنيمي هلال بـ:« **صورة متكاملة من الفضائل أو النقائص كانت متفرقة من قبل في عالم التجريد أو في مختلف الأشخاص**»[2]، ويبدو من هذا أن النموذج تصوير مشابه لما نصادفه في الواقع، بحيث يجمع بين الرذائل والفضائل، بعملية الانتقاء التي يقوم بها الكاتب للصفات وجمعها في شخصية واحدة، وهذا يتفق مع ما أقر به سيمون جون:« **النماذج أصبحت شخصيات أدبية**»[3]، وتجمع الشخصية الأدبية –النموذج- بين صفات عامة يشترك فيها كل الأفراد كالبخل في البخلاء، وصفات فردية تميز كل شخصية عن الأخرى.

وهكذا بالنموذج الإنساني هو شخصية إنسانية غادرت عالم الحياة والتحمت بالمتخيل الأدبي حاملة معها أبعادها الجسمية والنفسية والاجتماعية، بعد أن كانت موزعة بين البشر.

2- ميزات النموذج الإنساني:

يتميز النموذج الإنساني بأبعاد وخصائص تشكله في الأدب، أهمها

2-1-**الطابع العام**:« **القدرة على كشف السمات النموذجية العامة للحياة**»[4]، حيث يحمل النوذج طابعا عاما يرمز للحياة وللجماعة البشرية، يشترك فيه مجموعة من الناس.

2-2-**الخاصية الفردية:** أي الطابع الفردي الذي يميز شخصية عن أخرى في العمل الفني أو خارجه:« **ليس بمظهرها الخارجي وحسب بل بعالمها الداخلي وبكونها تحمل في ذاتها شيئا ما جديد فريد** »[5]، وهذه الخاصية تظهر في حياة الشخصية الخاص وطريقة عيشها وكلامها وتبرز في مواقف معينة وأفعال يقوم بها النموذج.

2-3-**طابع العصر:** تحمل الشخصية الأدبية طابع عصرها وتكون شاهدة عليه أي انها ارتبط بفترة تاريخية معينة وعصر معين، وقد ارتبط الفلاح بالعهد الاشتراكي، **وارتبطت كليوبترا بالعصر الرومنسي وهكذا.**

1-بتروف، ص 88.
2- غنيمي هلال(محمد): الموقف الأدبي، ص 7.
3- Themes et mythes, p15
4-بتروف، ص 88.
5-بتروف، ص 88.

2-4-الصفة الغالبة: وهي أهم صفاته، وتحدد حضوره في النص الأدبي حيث:« **حيث يستطيع المتلقي أن يدرك وجوده** »[1]، لا تلغي الصفة الغالبة باقي الصفات لمنها أهمها بل هي محور تتحلق حوله بقية الصفات، فالطغيان هو الصفة الغالبة في نموذج شهريار في الليالي الألف وليلة، الحيلة هي صفة أبطال المقامات العربية الغالبة.

3- أنواع النموذج الإنساني:

3-1-النموذج الاجتماعي:

نموذج مصدره المجتمع ويعبر عن فئة اجتماعية معينة، قد توجد في بيئة معينة، وقد تكون في كل المجتمعات، كالبخيل والمكادي والمحتال والمجنون والمتسول وغيرها، قد تولد في بيئة معينة لكنه يعرف في الآداب الأخرى إذا تأثروا به، فنموذج المحتال ولد في الأدب العربي مع مقامات الهمداني والحريري، وانتقل إلى الأدب الفارسي والتركي فيما بعد اتصالهم بالعرب، لمن المقامات الفارسية نوعت في الشخصية فكانت متغيرة مع كل مقامة في حين كانت في الأدب العربي هي ذاتها في كل المقامات.

3-2-النموذج التاريخي:

وهو شخصية تاريخية تنتمي إلى التاريخ الوطني الخاص أو الأجنبي، كشخصيات جاندارك وشالومان ونابليون في التاريخ الأوروبي وشخصيات: صلاح الدين الأيوبي وطارق بن زياد في التاريخ العربي، يستعير الكاتب الشخصية من التاريخ لتصبح نموذجا إنسانيا في النص الأدبي، لكن سرعان ما تصبح هي الأخرى مجالا للتبادل بين الآداب بمجرد خروجها من موطنها الأول، لتصبح عالمية .

3-3-النموذج المهني:

يرتبط بمجال عمل كقولنا الفلاح أو التاجر وغيرها، ترتبط هذه النماذج بفئات معينة من الناس، فارتبط الفلاح بالأدب الروسي لدقة تصويرهم فيه، وكثيرا ما ربط الأدباء بين اليهود ومهنة التاجر والمرابي كما في مسرحية تاجر البندقية لشكبير، وهي دائما مجال للمبادلات الأدبية.

3-4- النموذج الأسطوري:

مصدره التراث الشعبي الوطني أو الأجنبي، تصبح الأسطورة نموذجا إنسانيا في الأدب عند توظيفها في النص الأدبي، وتصبح عالميا عندما تتبادلها الآداب تأثيرا وتأثرا، وفي كل مرة تحافظ على بعض من ثوابتها وتفقد أخرى وتستبدل أخرى وهكذا، مثلا أسطورة أوديب اليونانية التي وظفت في المسرح من طرف سوفوكليس، وفي الأدب الفرنسي من طرف كورناي"الملك أوديب" ثم الألماني أندريه جيد، فالمصري"توفيق الحكيم" وعلي أحمد باكثير، وهكذا كان كل واحد يكيف القصة الأولى مع بيئته وثقافته.

3-5-النموذج الديني:

مصدر النموذج الديني هو الكتب السماوية والدينية، كشخصيات الأنبياء والقدسين والصالحين، أول كل من ذكرته القصص الدينية كشخصية لعازو ومريم المجدلية عند المسيحيين، وشخصية زليخة في التراث اليهودي، وجبريل عليه السلام وفاطمة رضي الله عنها عند المسلمين،

1- المحروقي، ص 14.

3-6-النموذج الأدبي:

تنتج الآداب نماذج إنسانية مصدرها الأدب في حد ذاته، تنتجها مخيلة الأديب وموهبته الخالصة، تصبح فيما بعد مثار إعجاب وتأثر من طرف آداب مجاورة أو بعيدة، لهذا نجد شبيه قيس بن الملوح في الأدب الفارسي، وأبي نواس كذلك، وشبيهات مدام بوفاري وأنا كارنينا في عديد الآداب، وغيرها من النماذج من دون جوان إلى فاوست..إلخ

4- دراسة النماذج البشرية في الأدب المقارن:

يولد النموذج الإنساني في بيئة ما أو حضارة ما وينمو بحله وترحاله بين الآداب والثقافات، وهو بهذا يحقق بعده العالمي من جهة، ويولد مجالا خصبا من مجالات المقارنة:« **طبيعي أن الأدب المقارن لا يحفل بدراسة هذه النماذج إلا إذا صارت عالمية، فانتقلت من أدب إلى أدب، وقد تحتفظ في انتقالها ببعض خصائص كانت لها في الأدب الذي نشأت فيه، وتكتسب مع ذلك خصائص أخرى ببعدها قليلا وكثيرا عن منشئها الأول**»[1]، ويتبين من هذا أن الباحث المقارن في اهتمامه بالنماذج الإنسانية لا ينزاح عن درسه الأساس وهو "المقارنة" والمبادلات الأدبية بين التأثير والتأثر، فمن محض عناية الأدب المقارن البحث في الثوابت والمتغيرات الحاصلة على مستوى النموذج الأدبي ومدى محافظته على صفاته الأساسية، والميزات التي يكتسبها في كل بيئة وأدب، وحتى بين الجنس الأدبي والآخر.

كما يهتم البحث المقارن بمدى تواتر النموذج الإنساني بين أدب وأدب، أو بين الجنس الأدبي والآخر والبحث عن العلل في ذلك بين اللغة والمذهب الفني والعصر، فهناك نماذج أدبية مفضلة عند الشعراء أكثر من غيرهم من الفنانين، والعكس صحيح، وللرومنسين نماذجهم المتواترة وللواقعيين كذلك، وعصرنا الحالي ينتج نماذج تختلف عن عصور سابقة.

ولا تتوقف الدراسة المقارنة للنموذج عند هذا الحد بل هي تتجاوز ذلك إلى دراسة:« **الكشف عن الوسائل الفنية التي صوربها الكاتب في آداب مختلفة نموذجا إنسانيا** »[2]، وتختلف الوسائل الفنية بين جنس أدبي وجنس آخر، ومن لغة أدب إلى أدب آخر ، لهذا يختلف التناول الفني ويحدث الفرق بين الآداب في توظيفهم للنموذج، فتناول الشاعر لنموذج أدبي ما في قصيدة يختلف عن تناوله في رواية مليئة بالأحداث والتفاصيل، وتعود إلى موهبة الكاتب الإبداعية القدرة على تصوير النموذج.

1-غنيمي هلال(محمد): الموقف الأدبي، ص 69.
2- المرجع نفسه، ص 76.